الحياة وراء البرزخ

(الحياة بعد الموت وقبل البعث)

****

مقدمة هامة

** هذا المؤَلف تصور لحياة ما بعد الموت وقبل يوم الجمع والبعث .. وهذه الفترة تعرف بانها (فترة الحياة وراء البرزخ) .. وجاء ذلك في قوله تعالى: **"حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ"** (المؤمنون100/99)

**** وجاء في تفسير ابن كثير أن :**

البرزخ هو حاجز ما بين الدنيا والآخرة (حسب قول مجاهد) .. وقال بأن محمد بن كعب زاد على ذلك قوله بأن من فيه ليسوا مع أهل الدنيا يأكلون ويشربون ولا مع أهل الآخرة يجازون بأعمالهم .. ثم أضاف لذلك ما قاله أبو صخر بأن البرزخ: المقابر، لا هم في الدنيا، ولا هم في الآخرة، فهم مقيمون إلى يوم يبعثون ..

** والحياة وراء البرزخ غيب ، لذلك فإن ما أورده هنا إنما هو مجرد محاولة لتخيل وتصور لبعض جوانب تلك الحياة .. ولكنه تصور وتخيل قائم على أسس من نصوص قرآنية ونبوية سوف أبينها في موضعها ، مع بيان كيف أن تلك النصوص تدعم ذلك التصور والتخيل .. ورغم ذلك فأنا لا أجزم بأن كل ما جاء فيه يقيني ، لأنه غيب ولا يعلم حقيقة الغيب إلا الله

**** ومع أن ذلك التصور مبني على فهم منطقي عقلاني لتلك النصوص فلا يمكنني أن أجزم بصحة هذا التصور الغيبي على إطلاقه ..**

هذا والله سبحانه أعلى وأعلم ..

**** (المؤلف) ****

الفصل الأول

النفس البشرية روح في جسد

[جسد بشري + روح من الله = نفس آدمية]

خلق الله آدم ﷺ من سلالة من طين من حمئ مسنون، ثم سواه ونفخ فيه من روحه فصار بشرا سويا .. ثم خلق الله من نفس آدم زوجا له، فاجتمعا وسكن آدم إليها فبث الله منهما أنفسا كثيرة رجالا ونساءً تزاوجوا وتجامعوا وتناسلوا فملأت ذرياتهما البشرية الأرض وعمرتها ..

وأحيانا يطلق على الروح مجازا أنها النفس (فنقول مثلا: زهقت نفسه بما يعنى موته) .. وذلك باعتبار أن الروح هي باعثة الحياة في النفوس ..

ملحوظة: نسبة الله الروح إلى نفسه في قوله سبحانه وتعالى: **إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ** (الحجر29/28) .. قد لا يعنى بالضرورة أن الله نفخ في آدم الروح بنفسه .. ولكنه قد يعنى أنه هو من أمر روحه الأمين جبريل بالنفخ فيه، ونسبة الروح لنفسه تعنى أنه الروح الذي يملك أمره ويستجيب لأمره .. ولنقارن ذلك بالنصوص الآتية في نفخ الروح في مريم عليها السلام والتي نسب فيها سبحانه الروح لنفسه أيضا في أحد النصوص ، رغم أن الذي بث الروح فيها هو (الروح الأمين جبريل عليه السلام) حسبما جاء في نصوص أخرى نذكرها أيضا فيما يلي للمقارنة :

وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ (الأنبياء91)

وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ (التحريم12)

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (16) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (17) قَالَتْ

إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (18) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (19) (مريم)

** الروح سر من أسرار الله وأمر من أمره :

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (الإسراء 85)

* وبالروح تحيا كل الكائنات وتنمو وتتكاثر .. وقد فوض الله أمرها وسِرَّها إلي كبير ملائكته (**جبريل** ﷺ) .. لذلك أطلق عليه لقب :

(**الروح الأمين**) و (**روح القدس**) ..

وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (195) (الشعراء)

وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ (البقرة 87+253)

إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ (المائدة 110)

* وخلق الله جسد آدم ﷺ من صلصال كالفخار **وسواه** فجهزه بأجهزته التي تجعله صالحا للحياة (دورية وعصبية وتناسلية وبولية وهيكلية ..الخ)، ثم نفخ في هذا الجسد من روحه فأصبح نفسا حية، جسدا متكاملا تسكنه وتستعمله الروح التي نفخها الله فيه .. فصار نفسا حية تستطيع أن تباشر شئون حياتها وتتكاثر .. وعن ذلك ورد في (سورة الحجر، وسورة ص72):

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (28) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (29) (الحجر)

* ثم خلق الله من ضلع آدم زوجا له (عُرفت بإسم: حواء) ليسكن إليها وليتكاثرا ويبث منهما ذرية بشرية رجالا ونساءً تعمّر الأرض :

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً (النساء 1)

* وقضى ربنا أن يكون تخليق الذرية الآدمية بعد ذلك من اجتماع الذكر بالأنثى .. فيبث الذكر في رحم الأنثى نطفة أمشاجا تحوى ملايين الحيوانات المنوية .. بعضها يحمل صفات الذكورة وبعضها يحمل صفات الأنوثة .. فيلقح واحد منها بويضة الأنثى في رحمها (وأحيانا قليلة يلقح البويضة أكثر من حيوان منوي واحد .. وفي أحيان أقل يتم تلقيح أكثر من بويضة .. ومن ذلك تولد التوائم) .. وتصبح البويضة الملقحة علقة معلقة في جدار الرحم، ثم تتخلق خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث (هي ظلمة الرحم وظلمة المشيمة وظلمة البطن).. ثم ينفخ الملَكُ الروحَ في الجنين الذي ينمو حتى يكتمل نموه ويخرج خلقا جديدا للدنيا ذكرا أو أنثى .. وهكذا تستمر الحياة وتتكاثر ..

- وعن ذلك تقول (سورة الأعراف 188) :

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا

- وعن ذلك أيضا تقول (سورة المؤمنون) :

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (12) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (13) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (14)

- وتقول (سورة الزمر 6) :

يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ

- كما تقول (سورة الحج 5) :

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا

- وتقول (سورة الحجرات 13) :

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا

- وجاء في (سورة الشورى) :

لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (49) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (50)

- وأخرج (البخاري ومسلم) عن ابن مسعود، حديثا مرفوعا يفهم منه أن الروح تنفخ في الجنين بعد أن يكتمل له 120 يوما (أي بعد أربعة أشهر) في الرحم .. (وتلك المدة يؤثر القول بها أيضا عن علي بن أبي طالب) .. وفيما يلي نص حديث ابن مسعود :

حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ قَالَ إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ **أَرْبَعِينَ يَوْمًا**، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ وَيُقَالُ لَهُ اكْتُبْ عَمَلَهُ وَرِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ ..

فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ..

الفصل الثاني

الروح من أمر الله وخلق من خلقه

** **زعم البعض أن** : **روح الإنسان جزء من روح الله، وبأن في الإنسان بعضًا من الله** .. واستندوا في ذلك إلى شبهات استنبطوها من بعض النصوص القرآنية نوردها والرد عليها فيما يلي حسبما ورد في موقع :

www.alukah.net/sharia/0/70324

** **الشبهة الأولى** : قالوا: مما يدل على أن الروح غير مخلوقة، هو قوله تعالى: **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي** (الإسراء85)

والجواب على هذه الشبهة من وجوه:

- **الأول:** أن الروح هنا اسم ملك ، وليست الروح الآدمية ، وهو كقوله تعالى:

يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا (النبأ38)

تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ (المعارج4)

تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم (القدر4)

- **الثاني:** قوله تعالى بأن ﴿**الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي**﴾ ليس من المنطقي أن يكون مدلوله أن الروح جزء من ذات الله ، أو أن الروح غير مخلوقة .. بل المدلول المنطقي المعقول لذلك هو أنها أمر (منسوب إلى الله) وبأمره تكونت، وأنها بكلمته كانت .. والأمر لله في القرآن يذكر ويراد به المصدر تارة .. ويراد به المفعول المأمور به تارة أخرى كقوله تعالى :

أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ .. (أي الأمر المأمور به) .. (النحل1)

لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ (الرعد11)

- <u>ومن المعلوم أن (مِنْ)</u> : تأتى لبيان الجنس، كقولنا " باب من حديد " ، وتأتى لابتداء الغاية، كقولنا " خرجت من مكة " ..

فعبارة ﴿**مِنْ أَمْرِ رَبِّي**﴾ ليس معناها أن الروح من جنس الله أو أنها بعض منه .. بل معناها أنها تكونت بالأمر منه ، وصدرت عنه بأمره ..

- <u>وقد بين ذلك الإمام أحمد بن حنبل فى تفسيره لقوله تعالى</u> :

" إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ" .. (النساء171)

حيث قال بأن معنى ذلك أنه : **<u>من أمره كان الروح</u>** ، كقوله تعالى:

" وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ " (الجاثية13)
ونظير هذا أيضًا قوله تعالى :

وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ (النحل53)

فإذا كانت المسخرات والنعم من الله، ولم تكن بعض ذاته، بل إنها منه صدرت، فلا يجب أن يعنى قوله في المسيح: **" وَرُوحٌ مِنْهُ "** أنها بعض ذاته ..

** **<u>الشبهة الثانية:</u>** قولهم: أضاف الله تعالى الروح إلى نفسه في خلق آدم بقوله : **فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ** (الحجر29) وبقوله في مريم: **فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا** (الأنبياء91) ..

<u>والجواب عن هذا كما قال شارح الطحاوية رحمه الله (ص442) :</u>

المضاف إلى الله تعالى نوعان:

<u>الأول</u>: صفات لا تقوم بأنفسها: كالعلم والقدرة والكلام والسمع والبصر، فهذه إضافة صفة إلى الموصوف بها، فعلمه وكلامه وقدرته وحياته صفات له، وكذا وجهه ويده سبحانه ..

<u>الثاني</u>: إضافة أعيان منفصلة عنه: كالبيت والناقة والعبد والرسول والروح

كما في قوله تعالى: **<u>نَاقَةَ اللَّهِ</u> وَسُقْيَاهَا** (الشمس13)

وكما في قوله: **تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى <u>عَبْدِهِ</u> لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا** (الفرقان1)

وقوله: **وَطَهِّرْ <u>بَيْتِيَ</u> لِلطَّائِفِينَ** (الحج26)

فهذه إضافة مخلوق إلى خالقه، لكنها إضافة تقتضى تخصيصًا وتشريفًا يتميَّز بها المضاف إليه عن غيره ..

* **<u>وأضيف إلى ما سبق بأنه</u>** :

لا يعقل (بل يستحيل) أن تكون الروح الآدمية (جزءا من روح الله، أو أن يكون في الإنسان بعضًا من الله) ..

لأن من الأرواح الآدمية من سوف تستحق سوء العذاب والخلود في النار بسوء عملها أو بكفرها ..

فالروح البشرية قد يقضى عليها بعملها بأن تعذب وتخلد في النار أو بأنها لا تعذب وتنعم في الجنة ..

لذلك فلا يعقل بأن تكون روح البشر جزءا من الله أو بعضا منه وأنها تلقى العقاب والثواب ..

الفصل الثالث

شرائع الله وكتبه هداية روحية من الله الناس

* لأن كتاب الله تحيا به النفوس حياة أرقى من الحياة المادية فقد سماه الله **(روحا من أمره)** كما سمى هدايته للمؤمنين أنه **(أيدهم بروح منه)** ولنقرأ:

- لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (المجادلة 22)

- وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (الشورى 52)

- رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ (غافر 15)

* ما خلق الله الجن والإنس إلا ليعبدوه :

- ينص القرآن أن الله ما خلق الجن والإنس إلا ليعبدوه فيقول :

أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (المؤمنون 115)

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ .. (الذاريات 56)

- وذكر الله الجن قبل الإنس في نص سورة الذاريات المذكور لأنهم خلقوا قبل الإنس وذلك حسب قوله تعالى :

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (26) وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ (27) (الحجر)

* وشاء الله أن يمنح البشر حرية الاختيار في أعمالهم الإرادية أقوالا وأفعالا ما داموا أحياءً على أن يحاسبهم عليها ويجزيهم بعملهم، خيرا بخير وشرا بشر .. **لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ..**

* وغرز الله في البشر الغرائز والشهوات اللازمة لحفظ حياتهم وتكاثرهم وتنافسهم بما تتطور به الحياة البشرية وتحافظ عليها ..

ولكنه شرع لهم الضوابط السوية لإشباع تلك الغرائز والشهوات بما يحفظ العلاقات الاجتماعية بين البشر .. وهداهم الله النجدين (أي هيأهم للخير والسوءِ سواءً بسواءٍ) .. (حسبما قالت به سورة البلد) :

أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (8) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (9) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (10)

والمقصود بالنجدين أي الطريقين (المستقيم .. والزائغ عن سواء السبيل)

فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا (يونس 108)

* ومن رحمة الله بخلقه أنهم كلما زاغوا عن فطرته السوية وصراطه المستقيم وشرعه الحكيم أن يبعث لهم الرسل والأنبياء هادين ومبشرين ومنذرين .. فيصطفي من بين الناس رسلا ، يردوهم إلى سواء السبيل ويأمرونهم بالمعروف وينهوهم عن المنكر ، ويبلغونهم كتبه وشرائعه وأوامره ونواهيه التي تنظم علاقتهم به والعلاقات فيما بينهم ..

وكانت رسالة كل من الرسل إلى قومه خاصة إلى أن جاءت رسالة الإسلام الخاتمة فكانت لكل العالمين ..

الفصل الرابع

طغيان الماديات على الروحانيات بين بنى إسرائيل

وتجلى الله عليهم بميلاد يحيي وعيسى كمعجزتين روحانيتين

- بعث الله الكثير من الرسل والأنبياء لبني إسرائيل، لأنه تكررت وتعددت معاصيهم وشركهم، فكانوا يتوبون ، ثم ينحرفون ويفسدون ويعبدون آلهة الشعوب، ثم تأتيهم رسالة السماء فيتوبون ، ثم يرجعون لغيهم وإفسادهم .. وهكذا كانوا يفعلون مكررا كما حكاه القرآن وسطرته كتبهم ..

- ولما طغت علي أكثر الإسرائيليين الماديات وإنكار البعث والحساب والروح والملائكة والمعجزات ، وبالغوا في الإيمان بالأسباب والمسببات المادية الملموسة المحسوسة (خاصة بين من عرفوا باليهود الصدوقيين) تجلى الله عليهم بمعجزة ميلاد يحيي ﷺ من شيخ فانٍ وزوجته العاقر الفاقدين لكل أسباب الإنجاب المادية ..

(وأقرأ قصة ذلك في سورة آل عمران 41/38 وسورة مريم 15/1)

- ثم تجلى الله علي بني إسرائيل بمعجزة ميلاد المسيح عيسى بن مريم ﷺ من غير الأسباب المادية للمواليد التي يعرفونها، وهي أن يجامع ذكر بالغ أنثي بالغة فتحمل منه وتلد .. فقد كان في بنى إسرائيل حبرٌ (لاوِيٌّ) يدعى عمران (صادف أن يوافق اسمه اسم عمران أبي موسى ﷺ) .. وكان عمران أبو مريم من ذرية هارون النبي ﷺ، الذي هو من ذرية لاوي بن يعقوب ﷺ .. وذرية هارون اللاويين هم المسموح لهم فقط دون غيرهم بدخول المحراب قدس الأقداس بالمعبد وممارسة الطقوس والشعائر فيه وتأدية سائر خدمات المعبد ..

- ومات عمران بعد أن خلف في بطن امرأته جنينا، فنذرت امرأته جنينها (الذي حسبته أن سيكون ذكرا) لخدمة المعبد ..

لكن امرأة عمران لما وضعت جنينها وجدته أنثى وسمتها (مريم) ، ولكنها لم تدر كيف توف بنذرها ، لأن الأنثى لا تصح خدمتها للمعبد ، فاعتذرت لربها عن نذرها لأن مولودتها أنثى ، لكن الله تقبل منها مريم بقبول حسن وتقبل أن توفي بنذرها بابنتها التي يعلم أنها أنثى .. وأنبت الله (مريم) نباتا حسنا، وكفَّل الله بها زوج خالتها زكريا النبي ﷺ المسموح له بدخول المحراب (قدس الأقداس) بصفته أيضا حبرا لاويًّا ..

- فلما كبرت مريم أرسلتها أمها لخدمة المعبد تحت إشراف زوج خالتها زكريا النبي ﷺ .. فاتخذت مريم لنفسها معزلا أقامت فيه في الجانب الشرقي من المعبد .. فأرسل الله إليها (روحه القدس : جبريل ﷺ) وهي في معزلها بالمعبد، فتجلى لها جبريل في صورة بشرٍ سويٍّ، ففزعت مريم منه، واستعاذت بربها الرحمان منه، وتوسلت إليه ألا يمسها إن كان تقيا، فطمأنها الروح الأمين بأن الله هو الذى بعثه إليها ليهب لها غلاما زكيا، ولما استنكرت مريم إمكان أن تحمل وتلد غلاما دون أن يمسسها بشر، قال لها جبريل بأن ذلك علي الله هين، وبأنه إذا أراد الله شيئا أن يكون، فإنما يقول له (كن) فيكون، وبأن ذلك أمر مقضي به من الله ليجعله آية معجزة للناس ورحمة منه، وليردهم إليه ويهديهم إلى صراطه المستقيم ..

- ونفخ (الروح القدس) فيها فحملت لوقتها، وعن ذلك تقول (سورة التحريم):

وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ (12)

فلما بدت علي مريم علامات الحمل هربت وانتبذت من أهلها مكانا قصيا أقامت به تحت نخلة بجانب سري من الماء حتى ولدت الطفل هناك ..

- وجاءت مريم بطفلها إلى قومها تحمله، فأنكروا عليها حالها، وذكروها بأصلها الهاروني اللاوي، وطيب معدن أبيها وأمها الذي لا يجوز لها معه أن ترتكب الفاحشة، فأشارت إلى الطفل موحية إليهم أنها صائمة عن الكلام، وأن الطفل سيخبرهم بخبره .. وهنا أنطق الله الطفل في المهد فدافع عن أمه، وأن الله خلقه بمعجزة منه من أمه العذراء دون أن يمسسها بشر، وذلك ليرسله إلى بني إسرائيل رسولا ونبيا ليردهم لصراطه المستقيم ..

- ويمكن الرجوع في كل ما ذكرنا إلى (سورة آل عمران 52/33) وفيما يلي ما جاء عن ذلك أيضا (بسورة مريم) :

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (16) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (17) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (18) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (19) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (20) قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا (21) فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (22) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا (23) فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (24) وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (25) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا (26) فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (27) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (28) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (29) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (30) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (31) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (32) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (33) ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (34)

الفصل الخامس

رسالة السيد المسيح وتأييد الله له بالروح القدس

* عندما بدأ السيد المسيح عيسى بن مريم ﷺ رسالته أيده الله بالروح الأمين (روح القدس جبريل ﷺ) .. فكان المسيح يصنع من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيها فتصبح طيرا حية بإذن الله، وكان يحيي الموتى بإذن الله، ويبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله، ويفعل غير ذلك من المعجزات التي تدعم رسالته بإذن الله ..

وكل ذلك ليدل على أن الحياة إنما هي هبة من الله، وأنها حياة روحية وجسدية معا، وليست أجساما وحياة مادية فقط ، وأن البشر ستستوفي أرواحهم من أجسادهم عندما يحين أجل كل منهم فيموتون ثم يبعثون فيحاسبون على أعمالهم ويثابون أو يعاقبون عليها ..

* وكان ميلاد عيسى ﷺ من أم من غير أب هو إظهار لقدرة الله على كل شيء ، وأنه إذا أراد لشيء أن يكون فإنه يكون (بكلمة منه) .. فقد خلق الله آدم ﷺ من قبل من غير أب ومن غير أم، وخلق زوجة له من أب من غير أم، ثم خلق المسيح ﷺ من أم بغير أب ..

إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (آل عمران59)

فالله على كل شيء قدير ..

الفصل السادس

حلول أجل النفس وشعور البعض بمقدمات موتهم

* تبقى الروح في الجسد تستعمله وتلبى رغباته مادامت وظائفه الأساسية تعمل .. فإذا توقفت أو هدمت تلك الوظائف الأساسية للجسد غادرت الروح الجسد وطلعت روحه منه وعادت إلى بارئها .. ويصبح الجسد جثة ..

* ولم يخلق الله البشر مخلدين في الحياة الدنيا ولكنه قدَّر لكل نفس أجلها فلا يتقدم موتها ولا يتأخر عما قدَّره الله لها .. وتقول (سورة الأعراف34) :

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ

* ولله ملائكة حفظة يحفظون الأنفس طوال حياتها (وذلك من أمر الله)، ويتعاقبون عليها من بين يديها ومن خلفها ، ويستمر ذلك حتى يحين أجلها :

لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ (الرعد/10)

(والمعنى أنهم يحفظونه، وهذا الحفظ هو أمر من الله)

وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ (الأنعام61)

* وسبب موت النفس هو حلول أجلها المقدر بصرف النظر عن الأسباب .. رغم أن موت النفس يحدث في الظاهر لنا نتيجة لعدة أسباب (سبقت في علم الله وتقديره) ينتج عنها انهدام صلاحية الأجهزة الحيوية الأساسية للجسم البشري سواءً بمرض أو بقتل أو بحادثة أو بغرق أو بغير ذلك مما يجعل الجسم المادي غير صالح لاستمرار حلول الروح فيه، فتفارقه ..

* وفي أحيان كثيرة تخالج الإنسان مشاعر غريبة حينما يحين أجله وعندما يكاد يكون في انقطاع من الدّنيا وإقبال على الآخرة، فيشعر ببدء مغادرة روحه لجسده، ويحس بها وهي تنسحب شيئًا فشيئًا من أطراف جسده .. وبعض الناس عند دنو أجلهم وقبل خروج أرواحهم نسمعهم يكلمون أقاربهم ومعارفهم وينادونهم بأسمائهم، وذلك من علامات دنو خروج أرواحهم، وربما جاءت تلك الأرواح للترحيب بالمحتضر والتهوين عليه؟!

*** ويقول الإمام القُرطبيّ :**

" قد يُكشف للمُحتضِر بعض المشاهد ويُحدِّثُ بها من حوله "

كما نقل القرطبي أيضا (في التذكرة) عن أبي حامد الغزالي قوله:

" وربما كشف للميت عن الأمر الملكوتي قبل أن يغرغر ، فيعاين الملائكة على حسب حقيقة عمله ، فإن كان لسانه منطلقا حدَّث بوجودهم "

* **وذكر ابن القيم** (في كتاب الروح) أن: الملائكة تنزل على المحتضر وتجلس قريبا منه ويشاهدهم عيانا ويتحدثون عنده ومعهم الأكفان والحنوط إما من الجنة وإما من النار، ويؤمنون على دعاء الحاضرين بالخير والشر، وقد يسلمون على المحتضر ويرد عليهم تارة بلفظه وتارة بإشارته وتارة بقلبه، حيث لا يتمكن من نطق ولا إشارة .. وقد سُمِعَ من بعض المحتضرين قوله: أهلا وسهلا ومرحبا بهذه الوجوه .. ثم ساق بعض الآثار في ذلك ..

الفصل السابع

سكرات الموت وخروج الروح

- كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (العنكبوت57)

وذوق الموت ليس المقصود به ذوق اللسان ، ولكن المقصود به الإحساس بسكراته وغمراته ..

- وروى البخاري عن موت رسول الله ﷺ أن أم المؤمنين عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عنها كَانَتْ تَقُولُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ أَوْ عُلْبَةٌ فِيهَا مَاءٌ (يَشُكُّ عُمَرُ) فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ وَيَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ **فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى** حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ ..

(وعمر الذي شك هو : عُمَرُ بْنُ سَعِيدٍ ، أحد الرواة في السند)

وفي وجه آخر لهذا الحديث أخرجه الإمام أحمد أن عائشة قَالَتْ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَمُوتُ وَعِنْدَهُ قَدَحٌ فِيهِ مَاءٌ وَهُوَ يُدْخِلُ يَدَهُ فِيهِ فَيَمْسَحُ بِهِ وَجْهَهُ وَيَقُولُ : **اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى سَكَرَاتِ الْمَوْتِ** ..

- ولسكرات الموت أحوال .. وبالمجمل فإن المؤمن تخرج روحه عادة بِيُسرٍ وسُهولة، والكافر تخرج روحه بشدّةٍ وصعوبة .. إلا أن ما قد يبدو لنا من شدّة سكرات الموت على إنسان قد لا يدُلّ بالضرورة على نقص في إيمانه، بل ربما كانت تكفيراً لسيّئاته أو للزيادة في حسناته ..

- وذهب بعض العلماء إلى عدم وجود دليل صريح على مشاهدة المحتضر لملك الموت، ولكن قد يَخصّ الله تعالى بذلك بعض عِباده ..

- ولملك الموت أعوان ، رسلا من الملائكة يتوفون معه الأرواح .. ونجد ذلك في قوله تعالي:

حَتّى إِذا جاءَ أَحَدَكُمُ الموتُ <u>تَوَفَّتهُ رُسُلُنا</u> وَهُم لا يُفَرِّطونَ (الأنعام61)

<u>حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ</u> قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (الأعراف37)

- وبحلول أجل الإنسان يتولى ملك الموت ومعاونيه من الملائكة قبض الروح من الجسد ويرجعونها إلى بارئها .. ويصير الجسد جثة ميتة :

قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (السجدة11)

- وخروج الروح يبدأ بمفارقتها الساقين والتفافهما ببعضهما ..

(وربما) يوحى التفاف الساق بالساق أن الروح لم تعد بحاجة للمشي عليهما فيتم التفافهما ..

(وربما) يوحى ذلك أن الروح في البرزخ تنتقل سباحة أو بوسائل أخرى **(والله أعلم)** ..

- ويستمر خروج الروح حتى تبلغ التراقي (والتراقي: جمع ترقوة، وهى العظام التي فوق الصدر وتحت الرقبة)، وعن ذلك جاء في (سورة القيامة):

كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (26) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (27) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (28) وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (29) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (30)

ومعنى (من راق ؟) هو : طلب من يقوم بالرقية والشفاء من تلك الحال ..

أو تساؤل الملائكة عمن هو هذا الصاعد الذي ترتقي روحه (والله أعلم) ..

- ثمّ تكون آخر مراحل خروج الروح من الجسد بعدما تبلغ الحلقوم، (والحلقوم هو الحلق أو: الزَوْر الذي بالرقبة)، وحينها يصل الإنسان إلى مرحلة الغرغرة وبعدها تخرج روحه .. ونجد ذلك في قوله تعالى:

فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (83) وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ (84) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ (85) (الواقعة)

- ثم أخيرا تغادر الروح الجسد لتبدأ مرحلة أخرى من مراحل حياتها، ويتبع خروج الروح من الجسد شخوص البصر (أي الانفتاح الشديد في العينين)، وهو ما يراه الناس ويعاينونه من أحوال موتاهم ..

- ومن العلامات الأخرى العامة لخروج الروح التي لم يرد دليل صريح بشأنها، ولكن الكثير من العلماء أوردوها في كتبهم ما يأتي :

ارتخاء الأعضاء بشكل عام، وانخساف في الصدغين لارتخاء الفك السُفليّ، وميل الأنف باتّجاه اليمين أو الشمال، وانفصال في الكفّين والرجلين، وهُدوء القلب، وتمدّدٌ في جلدة الوجه، والتوقّف عن التنفس، وانفراج في الشّفتين ..

- والمحتضر يَعرف مصيره إلى الجنّة أو النّار، لِقولهِ تعالى:

الَّذينَ تَتَوَفّاهُمُ المَلائِكَةُ طَيِّبينَ يَقولونَ سَلامٌ عَلَيكُمُ ادخُلُوا الجَنَّةَ بِما كُنتُم تَعمَلونَ (النحل32)

وقوله :

وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (الأنعام93)

الفصل الثامن

قبض الروح وعودتها لبارئها

- يقال بأن ملك الموت يقبض الروح ثم يرسلها إلى ملائكة الرحمة إن كان صاحبها مؤمنا، ويرسلها إلى ملائكة العذاب إن كان صاحبها كافرا .. [حسب محمد بن جرير الطبري في جامع البيان في تأويل القرآن- الطبعة الأولى- مؤسسة الرسالة- بيروت: ص411ج11 .. ومجير الدين المقدسي في فتح الرحمن في تفسير القرآن- الطبعة الأولى- دار النوادر- سوريا: ص324ج5]

- وروى ابن كثير عن ابن عباس أن الملائكة يكونون مع ملك الموت يأخذون الروح من الجسد إلى الحلقوم، ثم يتولى ملك الموت قبضها بعد ذلك .. (حسبما ذكرته الموسوعة العقدية - على موقع الدرر السنية dorar.net)

- ويقول رشيد رضا (في تفسير المنار ص403ج7 - الهيئة المصرية للكتاب) **:** إنّ لملك الموت أعوان من الملائكة يقبضون الأرواح، وهؤلاء الملائكة اختصّهم الله بقبضِ الأرواح، ويُعاونون ملك الموت في قبضهِ للأرواح، فيقبضون أرواح الطُّغاة قبضاً شديداً، لِقولهِ تعالى :

وَلَو تَرى إِذ يَتَوَفَّى الَّذينَ كَفَرُوا المَلائِكَةُ يَضرِبونَ وُجوهَهُم وَأَدبارَهُم وَذوقوا عَذابَ الحَريقِ (الأنفال50)

وأمّا المؤمن فتنزل عليه الملائكة بالرّحمة ويبشره ملك الموت عندما يجيء لقبض روحه، فيُقرِئه السّلام من ربِّه، ويُبشّرهُ بالمغفرة والجنّة، لِقولهِ تعالى:

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّـهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (فصلت30)

ويُبشّر الكافر بالنّار والعذاب، لقوله تعالى:

وَلَو تَرى إِذِ الظّالِمونَ في غَمَراتِ المَوتِ وَالمَلائِكَةُ باسِطو أَيديهِم أَخرِجوا أَنفُسَكُمُ اليَومَ تُجزَونَ عَذابَ الهونِ بِما كُنتُم تَقولونَ عَلَى اللَّـهِ غَيرَ الحَقِّ وَكُنتُم عَن آياتِهِ تَستَكبِرونَ (الأنعام93)

(انظر أيضا جلال الدين السيوطي: شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور - الطبعة الأولى 1996 دار المعرفة لبنان: ص91-93)

- وأخرج ابن ماجه وأحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ :

الْمَيِّتُ تَحْضُرُهُ الْمَلَائِكَةُ ..

فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ صَالِحًا قَالُوا: اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ، اخْرُجِي حَمِيدَةً وَأَبْشِرِي بِرَوْحٍ وَرَيْحَانٍ وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ .. فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى تَخْرُجَ ..

ثُمَّ يُعْرَجُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، فَيُفْتَحُ لَهَا .. فَيُقَالُ: مَنْ هَذَا؟**!** .. فَيَقُولُونَ: فُلَانٌ .. فَيُقَالُ: مَرْحَبًا بِالنَّفْسِ الطَّيِّبَةِ، كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ، ادْخُلِي حَمِيدَةً وَأَبْشِرِي بِرَوْحٍ وَرَيْحَانٍ وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ .. فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى يُنْتَهَى بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي فِيهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ..

وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ السَّوْءُ، قَالَ: اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ، اخْرُجِي ذَمِيمَةً، وَأَبْشِرِي بِحَمِيمٍ وَغَسَّاقٍ وَآخَرَ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ .. فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى تَخْرُجَ ..

ثُمَّ يُعْرَجُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ فَلَا يُفْتَحُ لَهَا .. فَيُقَالُ: مَنْ هَذَا؟**!** فَيُقَالُ: فُلَانٌ .. فَيُقَالُ: لَا مَرْحَبًا بِالنَّفْسِ الْخَبِيثَةِ، كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ .. ارْجِعِي ذَمِيمَةً فَإِنَّهَا لَا تُفْتَحُ لَكِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ .. فَيُرْسَلُ بِهَا مِنْ السَّمَاءِ .. ثُمَّ تَصِيرُ إِلَى الْقَبْرِ ..

- وأخرج أحمد والطبري بإسناد صحيح حديثا عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ، أورده أيضا ابن تيمية في (تلبيس الجهمية: صفحة 567/6) **.. قَالَ البراء :**

خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنْ الْأَنْصَارِ فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدْ ..

فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ وَكَأَنَّ عَلَى رؤوسِنَا الطَّيْرَ وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ : اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ (مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا) ..

ثُمَّ قَالَ : إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنْ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنْ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنْ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ الشَّمْسُ مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ ..

ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلَام حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ .. قَالَ فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ .. فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ..

قَالَ : فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ (يَعْنِي بِهَا عَلَى مَلَإٍ مِنْ الْمَلَائِكَةِ) إِلَّا قَالُوا مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ ؟! .. فَيَقُولُونَ فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا .. حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ فَيُفْتَحُ لَهُمْ .. فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ .. فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى، قَالَ: فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ ..

فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ رَبِّيَ اللَّهُ .. فَيَقُولَانِ لَهُ مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ دِينِيَ الْإِسْلَامُ .. فَيَقُولَانِ لَهُ مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .. فَيَقُولَانِ لَهُ وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ .. فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ : أَنْ صَدَقَ عَبْدِي فَأَفْرِشُوهُ

مِنْ الْجَنَّةِ وَأَلْبِسُوهُ مِنْ الْجَنَّةِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ .. قَالَ : فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ ..

قَالَ : وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ حَسَنُ الثِّيَابِ طَيِّبُ الرِّيحِ فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ؟! فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمْ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي ..

قَالَ : وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنْ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنْ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنْ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ مَعَهُمْ الْمُسُوحُ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ ..

ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنْ اللَّهِ وَغَضَبٍ .. قَالَ: فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنْ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ..

فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَإٍ مِنْ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟! .. فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ (بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا) .. حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ فَلَا يُفْتَحُ لَهُ .. ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **" لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ "** .. فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى .. فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا، ثُمَّ قَرَأَ : **وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنْ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ**

فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ .. وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي .. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي .. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي .. فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنْ السَّمَاءِ أَنْ: كَذَبَ فَافْرِشُوا لَهُ مِنْ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى

النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ ..

وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ قَبِيحُ الثِّيَابِ مُنْتِنُ الرِّيحِ فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوؤكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ .. فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ ؟! فَيَقُولُ أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ .. فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمْ السَّاعَةَ

** **<u>تعقيب وتساؤل</u>** : هل ملك الموت ومعاونوه مجموعة واحدة ؟! أم أنها مجموعات من رسل الموت من الملائكة ؟!

وسبب ذلك التساؤل لأنه في لحظة واحدة قد يلزم قبض آلاف بل عشرات الآلاف وأكثر من الأرواح في عديد من جهات ، خاصة في الحروب والكوارث العامة ؟!

فهل لنا بناءً على كل ما سبق ذكره أن نتصور **(وهذا مجرد تصور لا نجزم بصحته - فالله هو الأعلم) !!** بأن الذين يتوفون أرواح الناس الذين يحل أجلهم هم مجموعات عدة من الملائكة ، وأن ملك الموت يرسلهم ليتوفوا أرواح من يحل أجلهم ، حسبما وعندما يصدر له الأمر من الله بذلك ؟! فيتوفوها ، ويقبضها منهم ملك الموت ثم يرسلها مع ملائكة رحمة أو ملائكة عذاب للسماء ، لكن أبواب السماء تغلق ولا تفتح لمن يطرد من رحمة الله ، فيعادوا للأرض مهانين معذبين ، بينما تفتح أبواب السماء للطيبين الذين يتمتعون ويتشرفون بلقاء الله في السماء السابعة قبل أن يعودوا للأرض مكرمين .. ولنقرأ في ذلك قوله تعالى :

حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ * ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ * (الأنعام62/61)

وقوله تعالى:

فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ * وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ * فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ * وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ * (الواقعة 94/88)

الفصل التاسع

استنتاجات من خلاصة ما سبق

* إذا جاء أجل النفس المقدر في علم الله صدر الإذن الإلهي بقبضها .. فيتوفاها رسل الله تنفيذا لأمره وهم لا يفرطون ، ويتم ردها إلى مولاها الله الحق .. ولنقرأ في ذلك :

- وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا (آل عمران145)

- حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ (61) ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ (62) (الأنعام)

* **فإذا كانت النفس التي حان أجلها طيبة،** جاءتها مَلَائِكَة بِيضُ الْوُجُوهِ ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ ..

أما النفس الخبيثة فيجيئها مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ ، مَعَهُمْ مُسُوحُ ريحها كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ..

* ولقبض الروح حالات : **فأما روح النفس الطيبة** فإنها تَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فَمِّ السِّقَاءِ .. **بينما روح النفس الخبيثة** تُفَرَّقُ فِي الجَسَدِ فَيَنْتَزِعُهَا ملك الموت كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ (أي الشوك) مِنْ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ .

* وتغطية الروح بكفن وبحنوط (غير كفن وحنوط الجثمان) يوحى بأن الروح تكون لها سمات النفس وما يجب ستره بكفن ، والنصوص القرآنية الآتية يفهم منها أن الروح يكون لها وجه ودبر وغير ذلك من السمات ، بما تتعارف الأرواح بها بعضها على بعضها .. وبما وجب ستره بالكفن :

وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (الأنفال50)

فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ (محمد27)

*** ومما يؤكد أن الروح تكون لها سمات النفس ، هو ما يؤثر عن وصف رسول الله ﷺ لسمات بعض الرسل الذين التقى بهم في رحلة الإسراء:**
فقد أخرج مسلم حديثا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ جاء فيه: " .. وَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ ، فَإِذَا مُوسَى قَائِمٌ يُصَلِّي فَإِذَا رَجُلٌ ضَرْبٌ جَعْدٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ ، وَإِذَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَام قَائِمٌ يُصَلِّي أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ ، وَإِذَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَام قَائِمٌ يُصَلِّي أَشْبَهُ النَّاسِ بِهِ صَاحِبُكُمْ يَعْنِي نَفْسَهُ .. "

<u>تعقيب</u>: أداء أرواح الأنبياء الصلاة لله بعد الموت ليس أداء تكليف ، لكنهم يؤدوها تمتعا وتقربا بها من الحبيب سبحانه .. (وربما يفعل ذلك أيضا بعض الصالحين) **.**

* ونرجح أن تكون سمات الروح هي نفس سمات النفس في الدنيا في سن فتية وبدون عاهات أو نقص فيما عدا التفاف الساق بالساق .. فتتعارف أرواح الأهل والأصحاب والأحباب الطيبة، وتتلاقي وتتواصل وتتذاكر ..

*** لقاء الروح الطيبة بالله في السماء السابعة لا يعنى ان تلك السماء مقره تعالى دون باقي الكون،** ولكنها ربما هي مكان التشريفة التي يلقى بها مع أحبائه .. وإلا فالله موجود في كل الوجود، ولنقرأ في ذلك قوله تعالى :

- وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (الحديد4)
- مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا (المجادلة7)

- وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (البقرة115)

- وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (الزخرف84)

*** والطيبون تُطَيَّبُ أرواحهم بأطيب الطيب ، وتفتح لهم أبواب السماء ، ويتمتعون بلقاء العلي سبحانه ، ثم يردون للأرض منعمين مكرمين ..**

" تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا " (الأحزاب44)

*** أما الكفار والمنافقون والفاسدون المفسدون فلا تفتح لهم أبواب السماء ويردون للأرض ملعونين محرومين من لقاء الله بهم ..**

ولنقرأ عن ذلك قوله تعالى :

- إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ (الأعراف40)

- فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ (الدخان29)

.. وهذا النص يوحى بأن مواضع سجود وتعبد الطيبين **في الأرض** ، ومعارج صعود أعمالهم **للسماء** يفتقدونهم ويبكونهم بعد موتهم **..**

* وبعد لقاء الأرواح الطيبة بربها وطرد الأرواح الخبيثة عن لقائه ، تعود الأرواح للأرض فتحضر جنازة جسدها حتى يقبر (إن كان هناك جسد باق لم يهلك وستقام له جنازة ويقبر) ..

ويصحب الروح طيف أعمالها: على هيئةٍ طيبةٍ للطيبين ، وعلى هيئةٍ خبيثةٍ للخبيثين ..

* ثم تبدأ فتنة القبر وسؤال الملكين للروح عن عقائدها ، فتوفق وتَطِيْبُ ، أو تخيب وتهان ..

وبالطبع إن كان الجسد قد هلك ولن تقام جنازة له أو قبر، فإن فتنة الملكين تجرى على الروح بعد هبوطها للأرض، ثم ترسل كل روح لمصيرها الذى تستحقه في الحياة وراء البرزخ ..

*** وفي القبر تسمع الروح وقع نعال المشيعين وهم ينصرفون ..**

وسماع الروح قرع نعال المشيعين وهم ينصرفون هو قبل مغادرة الروح الجسد إلى الحياة وراء البرزخ .. وبعد ذلك لا يسمع الجسد المقبور شيئا .. ويصدِّق ذلك قوله تعالى :

وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ <u>وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ</u> (فاطر22)

- أماعن كان كلام الرسول ﷺ إلى الكفار في قليب بدر في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم والنسائي وأحمد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ والذي نصه في مسلم : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَرَكَ قَتْلَى بَدْرٍ ثَلَاثًا .. ثُمَّ أَتَاهُمْ فَقَامَ عَلَيْهِمْ ، فَنَادَاهُمْ فَقَالَ : يَا أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ ، يَا أُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ ، يَا عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ ، يَا شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ ، أَلَيْسَ قَدْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ، فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا .. فَسَمِعَ عُمَرُ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كَيْفَ يَسْمَعُوا وَأَنَّى يُجِيبُوا وَقَدْ جَيَّفُوا ؟! قَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يُجِيبُوا .. ثُمَّ أَمَرَ بِهِمْ فَسُحِبُوا فَأُلْقُوا فِي قَلِيبِ بَدْرٍ .

- وقد أورد البخاري عقب نص هذا الحديث الذي أخرجه تعليقا لقتادة الذي روى الحديث عن أنس بن مالك فروى البخاري بأن قَتَادَةُ قال :

"أَحْيَاهُمْ اللَّهُ حَتَّى أَسْمَعَهُمْ قَوْلَهُ تَوْبِيخًا وَتَصْغِيرًا وَنَقِيمَةً وَحَسْرَةً وَنَدَمًا"

*** وأوردت الموسوعة الشاملة (رأي الألباني) عن كلام الرسول ﷺ إلى الكفار في قليب بدر .. وعن حديث أن الْعَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتُوُلِّيَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ وهم عنه مدبرون ..**

فقال الألباني ما خلاصته :

.. سماعهم هنا مستثنى من القاعدة العامة وهي:

" إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى " (النمل80 والروم52)

وكذلك :

" وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ " (فاطر22)

فالحديث يعطيك تخصيصاً، ولا يعطيك العموم .. فلا يعني الحديث أن الموتى كلما مر مار من المقابر انشغلوا بسماع قرع نعالهم ..

والخلاصة هي: أن قوله ﷺ: "إذا وضع الميت في قبره فإنه ليسمع قرع نعالهم وهم عنه مدبرون" لا يمكن معه تصور أنه يسمع كل شيء، فهذا أمر مستحيل ! .. لكن ما دام أن الأصل أن الموتى لا يسمعون، فإذا جاء نص ما يعطي لميت ما أو موتى سماعاً ما، نستثنيه من القاعدة، فنقول: إن المشركين في القليب سمعوا قول الرسول ﷺ، لكنهم لم يسمعوا ما كان يجري حولهم من أحاديث الصحابة .. فحينما قال عمر : يا رسول الله، إنك لتنادي أجساداً لا أرواح فيها!، لا نقول إنهم سمعوا قول عمر، لأن سماعهم لقول الرسول ﷺ معجزة للرسول يوقف عندها .. كذلك في هذا الحديث: يسمع الميت قرع نعالهم وحسب، وما نزيد على ذلك، لسببين:

أولاً: أنه خلاف الأصل، وهو: أن الموتى لا يسمعون ..

ثانياً: أن الأمور الغيبية لا يتوسع فيها أبداً، ويجب الوقوف عند النص، وعدم الزيادة عليه ..

(وإلى هنا انتهت خلاصة ما قاله الألباني) ..

*** وعن فهم الصحابة لجنازة الميت وفتنة القبر وسماعه للمشيعين له ورغبته في بقائهم ليأنس بهم إلى أن يراجع رسل ربه** .. نورد الحديث التالي الذي أخرجه مسلم عَنْ ابْنِ شِمَاسَةَ الْمَهْرِيِّ قَالَ :

حَضَرْنَا عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ وَهُوَ فِي سِيَاقَةِ الْمَوْتِ فَبَكَى طَوِيلًا وَحَوَّلَ وَجْهَهُ إِلَى الْجِدَارِ ..

فَجَعَلَ ابْنُهُ يَقُولُ: يَا أَبَتَاهُ أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِكَذَا أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِكَذَا ، قَالَ: فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ فَقَالَ :

إِنَّ أَفْضَلَ مَا نُعِدُّ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ..

إِنِّي كُنْتُ عَلَى أَطْبَاقٍ ثَلَاثٍ :

لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَمَا أَحَدٌ أَشَدَّ بُغْضًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنِّي وَلَا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ قَدْ اسْتَمْكَنْتُ مِنْهُ فَقَتَلْتُهُ، فَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَكُنْتُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ.

.. فَلَمَّا جَعَلَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ فِي قَلْبِي أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلْأُبَايِعْكَ ، فَبَسَطَ يَمِينَهُ ، قَالَ: فَقَبَضْتُ يَدِي ، قَالَ: مَا لَكَ يَا عَمْرُو؟ ، قَالَ: قُلْتُ ، أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ ، قَالَ: تَشْتَرِطُ بِمَاذَا؟ ، قُلْتُ: أَنْ يُغْفَرَ لِي ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ ، وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلِهَا ، وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟! .. وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا أَجَلَّ فِي عَيْنِي مِنْهُ، وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنَيَّ مِنْهُ إِجْلَالًا لَهُ ، وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنَيَّ مِنْهُ، وَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ..

ثُمَّ وَلِينَا أَشْيَاءَ مَا أَدْرِي مَا حَالِي فِيهَا ..

فَإِذَا أَنَا مُتُّ فَلَا تَصْحَبْنِي نَائِحَةٌ وَلَا نَارٌ ..

فَإِذَا دَفَنْتُمُونِي فَشُنُّوا عَلَيَّ التُّرَابَ شَنًّا ..

ثُمَّ أَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ مَا تُنْحَرُ جَزُورٌ وَيُقْسَمُ لَحْمُهَا حَتَّى أَسْتَأْنِسَ بِكُمْ وَأَنْظُرَ مَاذَا أُرَاجِعُ بِهِ رُسُلَ رَبِّي ..

*** وأورد موقع (إسلام وب) فتوى** (برقم24738) **عما إذا كان الميت يعلم بزيارة الأحياء لقبره ورد سلامهم عليه إليهم، وتقول الفتوى :**

تكلم عن هذه المسألة ابن القيم في كتابه (الروح) فأطال، وأهم ما ورد فيها (ص5 وما بعدها) ما يلي باختصار : ..

قال ابن عبد البر بأنه ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : " ما من مسلم يمر على قبر أخيه كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام " ..

وقد شرع النبي ﷺ لأمته إذا سلموا على أهل القبور أن يسلموا عليهم سلام من يخاطبونه، فيقول: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وهذا خطاب لمن يسمع ويعقل، ولولا ذلك لكان هذا الخطاب بمنزلة خطاب للمعدوم .. والسلف مجمعون على هذا، وقد تواترت الآثار عنهم بأن الميت يعرف زيارة الحي له ويستبشر به ..

*** ونضيف هنا بأن** مسلم أخرج عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كُلَّمَا كَانَ لَيْلَتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَخْرُجُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ إِلَى الْبَقِيعِ فَيَقُولُ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَأَتَاكُمْ مَا تُوعَدُونَ غَدًا مُؤَجَّلُونَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَهْلِ بَقِيعِ الْغَرْقَدِ

الفصل العاشر

فتنة القبر وعذابه ونعيمه

* ليس من الضروري أن يكون القبر هو الحفرة المدفون فيها الجثمان الميت ..

فالعديد من الأجساد البشرية الميتة يتم حرقها حتى تصبح رمادا يحتفظ به أهل الميت كما في الهندوسية وغيرها من العقائد ، وهو ما يقلده بعض الغربيين .. وبعض الأجساد تغرق في البحار وتأكلها الأسماك .. وبعض الأجساد تذوب كيميائيا بالتعذيب أو بالحروب الكيميائية والذرية .. وبعضها تأكلها الوحوش .. الخ

* **فالمقصود بفتنة القبر :** هو فتنة الملكين للميت بعد قبره (أو بعد موته إذا كان جسده لن يقبر) ..

ويؤثر عن رسول الله ﷺ أنه كان يستعيذ من فتنة القبر بعد التشهد ..

* **والمقصود بعذاب القبر ونعيمه** : هو ما تلاقيه الروح في حياتها وراء البرزخ بعد فتنة الملكين لها ..

وعذاب ونعيم الروح وراء البرزخ قد يشار له في الأحاديث بنعيم وعذاب القبر، لأن القبر هو المحسوس لنا بأننا أودعنا فيه موتانا، وإليه نذهب لزيارتهم والترحم عليهم والسلام عليهم ..

(وهو ما سوف نزيده إيضاحا في الفصل التالي الخاص بحياة ما وراء البرزخ)

* **وقد وردت أحاديث عديدة عن فتنة القبر، أخرجتها كتب الصحاح الستة عن العديد من الصحابة بصيغ عديدة ، نختار منها ما يلي :**

- أخرج البخاري عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ الْعَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتُوُلِّيَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَأَقْعَدَاهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ (مُحَمَّدٍ ﷺ) فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنْ النَّارِ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنْ الْجَنَّةِ .. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا .. وَأَمَّا الْكَافِرُ أَوْ الْمُنَافِقُ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ .. ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ ..

- ونص هذا الحديث في مسلم عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ ، قَالَ: يَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ، قَالَ: فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، قَالَ: فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنْ النَّارِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنْ الْجَنَّةِ، قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: فَيَرَاهُمَا جَمِيعً ...

وعقب مسلم على هذا الحديث بقوله :

قَالَ قَتَادَةُ: " وَذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا وَيُمْلَأُ عَلَيْهِ خَضِرًا إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ " ..

- وأخرج البخاري عن أَسْمَاءَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا تَقُولُ :

قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطِيبًا فَذَكَرَ فِتْنَةَ الْقَبْرِ الَّتِي يَفْتَتِنُ فِيهَا الْمَرْءُ فَلَمَّا ذَكَرَ ذَلِكَ ضَجَّ الْمُسْلِمُونَ ضَجَّةً ..

- وأخرج مسلم والبخاري وغيرهما حديثا عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ..

ونصه في مسلم : أن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ :

يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ ، نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ ، فَيُقَالُ لَهُ : مَنْ رَبُّكَ ؟ .. فَيَقُولُ : رَبِّيَ اللَّهُ ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ ﷺ .. فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : **يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ**

- وأخرج أبو داود عَنْ هَانِئٍ مَوْلَى عُثْمَانَ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ قَالَ :

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا فَرَغَ مِنْ دَفْنِ الْمَيِّتِ وَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ :

اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ وَسَلُوا لَهُ بِالتَّثْبِيتِ فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ ..

الفصل الحادي عشر

حياة الروح وراء البرزخ

** التعريف بحياة ما وراء البرزخ :

*** البرزخ في اللغة معناه (الحاجز أو العازل) ..**

والأرواح من أول روح آدم حتى روح آخر ميت محجوزين معزولين وراءه عن الأنفس الحية ، ورغم أن كل منها تكون في حال من الأحوال حسب عملها ، إلا أن الأرواح الطيبة أحيانا ما تتزاور وتتواصل وتتذاكر .. وجاء ذكر البرزخ في سورة (المؤمنون 100/99) كما يلي :

حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ *

*** وفي الحياة وراء البرزخ نعيم وعذاب للأموات ..**

و**يقول ابن القيم عن ذلك** :

كل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه ، قبر أو لم يقبر، فلو أكلته السباع أو احترق حتى صار رماداً ونسف في الهواء ، أو صلب أو غرق في البحر .. فيصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى المقبور .. والنار والنعيم في القبر ليسا من جنس نار الدنيا ونعيمها ..

وقد يدفن في نفس القبر شخصان معا ، ويكون هذا في حفرة من النار وهذا في روضة من رياض الجنة بدون أن يصل حال أي منهما للآخر .. وقدرة الله أكبر ..

(انتهى قول ابن القيم)

* ويقول موقع (الدرر السنية www.dorar.net) :

أرواح العباد في الحياة وراء البرزخ متفاوتة في منازلها .. كما يلي :

- **أرواح الأنبياء** في خير المنازل في أعلى عليين، في الرفيق الأعلى ..

- **وأرواح الشهداء** أحياء عند ربهم يرزقون حسب قوله تعالى :

وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ
(آل عمران16)

- **إلا أن أرواح بعض الشهداء تحبس عن دخول الجنة لديون عليهم** ، فقد جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ، مالي إن قتلت في سبيل الله؟ قال: الجنة .. فلما ولّى، قال: **إلا الدين،** سارني به جبريل آنفاً

(وهذا الحديث روى نفس مدلوله عدد من الصحابة وأخرجه مالك ومسلم وأصحاب السسن ماعدا أبو داود)

* والأرواح بعد معاناتها لسكرات الموت وقبضها الذي تختلف صعوبته ويسره حسب حالة كل منها، ترسل الطيبة منها للقاء بارئها، بينما تغلق أبواب السماء دون الارواح الخبيثة سواءً الكافرة أو المنافقة أو الفاسقة أو الخبيثة ..الخ ، وتطرد دون لقائه ..

* ثم تعود الأرواح كلها للأرض وتتعرض لفتنة الملكين كما سبق بيانه .. وبعد ذلك ترسل الأرواح للحياة الروحية وراء البرزخ بثوابها وعقابها البرزخي حتى تقوم الساعة ..

** هل تتزاور الأرواح أثناء حياتها وراء البرزخ ؟!

* قد تزور الروح أحيانا أقاربها ومعارفها الأحياء في المنام حقيقة أو رمزا .. وعند زيارة زائر من الأحياء للقبر الذي دفن فيه الجسد تجيء الروح إلى القبر، وتأنس به ، وترد السلام على الزائرين لها ، وتسر بهم وتراهم وتسمعهم من حيث لا يراها الزائرون أو يسمعوها ..

وفي حديث (أخرجه أبو داود وأحمد) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ" .

وأخرج مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى الْمَقْبُرَةَ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ ..

(وأخرج مسلم ومالك وابو داود والنسائي وابن ماجه واحمد أحاديث بنفس مدلول سلام الرسول ﷺ على أهل المقابر عن أبي هريرة وعائشة ، وفي بعضها زيادة منها قوله : اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُمْ وَلَا تَفْتِنَّا بَعْدَهُمْ)

* وأرواح الرسل والنبيين والصديقين (ومن يختصهم الله بقربه) تكون في عليين مقربين من ربهم يرزقون .. وروح نبينا محمد ﷺ في الرفيق الأعلى .. ففي حديث السيدة عائشة أن الرسول ﷺ عند وفاته كان يقول: **(في الرفيق الأعلى)** .. ويلحق به في معيته أصحابه وأحبابه ، وعن ذلك يقول الله تعالى :

وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (النساء69)

- وروى البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وأحمد ، عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ السَّاعَةِ فَقَالَ مَتَى السَّاعَةُ قَالَ وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا قَالَ لَا شَيْءَ إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ فَقَالَ أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ قَالَ أَنَسٌ فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ فَرَحَنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ .. قَالَ أَنَسٌ فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ ..

- كما يروى ابن أبي الدنيا أن بلال بن رباح قرب وفاته كان ينشد قائلا: (غدا ألقى الأحبة محمدا وصحبه) .. وهذا الخبر سنده منقطع بين الراوي وبين الراوي عن بلال في السند ، لأنه لم يثبت تعاصرهما أو تقابلهما بما يدل على ضرورة وجود راوٍ آخر بينهما ، ولكن لما كان الراوي الذي روى عمن روي عن بلال ثقة ، لذلك فمن المرجح أن يكون قد استوثق من صدق الراوي الغائب في السند الذى بينه وبين الراوي عن بلال قبل أن يروي الحديث ، وربما لم يذكره سهوا .. وبناءً على ذلك فإن الرواية المنقطعة السند يصح أن تعامل على أنها درجة من درجات الروايات صحيحة **(السند)** ، إذا كان الراوي في السلسلة قبل انقطاعها ثقة وعدل حافظ ..

- ويروى أيضا أن الرسول ﷺ بشر سيدنا عثمان في منامه في اليوم الذي قتل فيه، فقال له: (تفطر اليوم عندنا) ، وكان عثمان صائما .. (وتلك الرواية وأمثالها تصنف على أنها سير تاريخية .. ومن المسَلَّم به أن ما يرد في كتب السير والتاريخ ظني لا يرقى لدرجة اليقين .. ولكنه غالبا ما يتم تقبل ما بها ويستأنس بما تورده ، ما لم تكن الرواية غالية وغير منطقية أو يكون الراوي لها متهما ، أو أنه توجد رواية أخرى تناقضها) ..

* **ويقول ابن تيمية** (في مجموع الفتاوي) :

أرواح الْأَحْيَاءِ إذَا قُبِضَتْ تَجْتَمِعُ بِأَرْوَاحِ الْمَوْتَى، وَيَسْأَلُ الْمَوْتَى الْقَادِمَ عَلَيْهِمْ عَنْ حَالِ الْأَحْيَاءِ فَيَقُولُونَ: مَا فَعَلَ فُلَانٌ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانٌ تَزَوَّجَ. فُلَانٌ عَلَى حَالٍ حَسَنَةٍ .. وَيَقُولُونَ: مَا فَعَلَ فُلَانٌ؟ فَيَقُولُ: أَلَمْ يَأْتِكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: لَا، ذُهِبَ بِهِ إلَى أُمِّهِ الْهَاوِيَةِ .. وَأَمَّا أَرْوَاحُ الْمَوْتَى فَتَجْتَمِعُ: الْأَعْلَى يَنْزِلُ إلَى الْأَدْنَى، وَالْأَدْنَى لَا يَصْعَدُ إلَى الْأَعْلَى ..

- وابن تيمية يشير في ذلك إلى حديث أبي هريرة الذي أخرجه النسائي أن النبي ﷺ قال: إذا احتضر المؤمن أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء فيقولون: اخرجي راضية مرضيا عنك إلى روح الله وريحان ورب غير

غضبان، فتخرج كأطيب ريح المسك، حتى أنه ليناوله بعضهم بعضا، حتى يأتون به باب السماء فيقولون: ما أطيب هذه الريح التي جاءتكم من الأرض، **فيأتون به أرواح المؤمنين، فلهم أشد فرحا به من أحدكم بغائبه يقدم عليه**، فيسألونه ماذا فعل فلان؟ ماذا فعل فلان؟ فيقولون: دعوه، فإنه كان في غم الدنيا، فإذا قال: أما أتاكم؟ قالوا: ذهب به إلى أمه الهاوية ..

* **ويقول ابن القيم** (في كتاب الروح) **: عن تلاقى وتزاور وتذاكر الأرواح بأن الأرواح قسمان :**

- __القسم الأول__ : أرواح منعمة ، مرسلة غير محبوسة ، تتلاقى وتتزاور وتتذاكر ، وتكون كل روح مع رفيقها الذي هو على مثل عملها .. وعن ذلك يقول الله تعالى :

يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * __فَادْخُلِي فِي عِبَادِي__ * وَادْخُلِي جَنَّتِي (الفجر27-30)

(**أي: ادخلي في جملتهم وكوني معهم**، وهذا يقال للروح عند الموت) ..

وروح نبينا محمد ﷺ في الرفيق الأعلى ، وفي معيته أحبابه ، وهذه المعية ثابتة في الدنيا وفي البرزخ وفي الحياة الآخرة ، فالمرء مع من أحب في هذه الدور الثلاثة .. وعن ذلك يقول تعالى :

وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (النساء69)

- __والقسم الثاني__ : أرواح معذبة وهي تكون في شغل بما هي فيه من العذاب عن التزاور والتلاقي ..

* وأخرج أحمد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ إِنَّ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ تَلْتَقِي عَلَى مَسِيرَةِ يَوْمٍ مَا رَأَى أَحَدُهُمْ صَاحِبَهُ قَطُّ

** الجنة والنار والثواب والعقاب فى الحياة وراء البرزخ :

في ما وراء البرزخ جنة لها درجات، ونار لها دركات، وفيه ثواب وعقاب .. وكلها غير جنة ونار وثواب وعقاب الآخرة .. لأنه إذا نفخ في الصور **(نفخة الصعق)** تطوى الأرض والسماوات كطي السجل للكتب، ثم بعد **(نفخة البعث)** تُغَيَّر الأرض غير الأرض والسماوات غير السماوات .. ولنقرأ في ذلك قوله تعالى :

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ (الزمر68)

يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ (الأنبياء104)

يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (إبراهيم48)

** منزلة الشهيد فى الحياة وراء البرزخ :

- الشهيد يدخل جنة ما وراء البرزخ ويرزق فيها بغير حساب فور موته **..** وعن ذلك فلنقرأ قوله تعالى **:**

في (سورة آل عمران169) **: وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**

وفي (سورة يس27/20) : لما جاء رجل من أقصى المدينة يحث أصحاب القرية على اتباع المرسلين قتلوه ، فأكرمه الله وغفر له وأدخله الجنة : **قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ***

وفي (سورة الحديد19) **: إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ**

- وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأُحُدٍ جَعَلَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ **فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ** فَلَمَّا وَجَدُوا طِيبَ مَأْكَلِهِمْ وَمَشْرَبِهِمْ وَمَقِيلِهِمْ قَالُوا مَنْ يُبَلِّغُ إِخْوَانَنَا عَنَّا أَنَّا أَحْيَاءٌ فِي الْجَنَّةِ نُرْزَقُ لِئَلَّا يَزْهَدُوا فِي الْجِهَادِ وَلَا يَنْكُلُوا عِنْدَ الْحَرْبِ فَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : أَنَا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُمْ ، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ : **"وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ"** إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ..

- وأخرج مسلم عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ : سَأَلْنَا عَبْدَ اللَّهِ عَنْ آيَةِ : **" وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ "** ، قَالَ : أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ : أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَسْرَحُ مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ اطِّلَاعَةً فَقَالَ : هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا ؟ قَالُوا : أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا ! فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا قَالُوا: يَا رَبِّ نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى ، فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا .. (وأخرج الحديث بنفس مدلوله والترمذي وابن ماجه وأحمد)

وجاءت زيادة في نفس هذا الحديث الذي أخرجه أبو داود بنفس معناه عن ابن عباس تقول : ... فَلَمَّا وَجَدُوا طِيبَ مَأْكَلِهِمْ وَمَشْرَبِهِمْ وَمَقِيلِهِمْ قَالُوا مَنْ يُبَلِّغُ إِخْوَانَنَا عَنَّا أَنَّا أَحْيَاءٌ فِي الْجَنَّةِ نُرْزَقُ لِئَلَّا يَزْهَدُوا فِي الْجِهَادِ وَلَا يَنْكُلُوا عِنْدَ الْحَرْبِ فَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنَا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُمْ قَالَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ **" وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ "** إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ..

- وأخرج البخاري عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ أُمَّ الرُّبَيِّعِ بِنْتَ الْبَرَاءِ وَهِيَ أُمُّ حَارِثَةَ بْنِ سُرَاقَةَ أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَلَا تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ

وَكَانَ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرْبٌ فَإِنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ صَبَرْتُ وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ فِي الْبُكَاءِ .. قَالَ يَا أُمَّ حَارِثَةَ إِنَّهَا جِنَانٌ فِي الْجَنَّةِ وَإِنَّ ابْنَكِ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى ..

* أما من يستشهد وعليه دين (لا تستوفيه تركته ولا يؤديه وليه أو ورثته) فيغفر له ذنوبه كلها إلا الدين :

- وعن ذلك أخرج مسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ **إِلَّا الدَّيْنَ** ..

- وأخرج مسلم وغيره عَنْ أَبِي قَتَادَةَ ، أَنَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَامَ فِيهِمْ فَذَكَرَ لَهُمْ أَنَّ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْإِيمَانَ بِاللَّهِ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ .. فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ .. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: نَعَمْ إِنْ قُتِلْتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ.. ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: كَيْفَ قُلْتَ؟ .. قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ .. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: نَعَمْ وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ **إِلَّا الدَّيْنَ، فَإِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَام قَالَ لِي ذَلِكَ .**

- وأخرج مالك والترمذي والنسائي وأحمد وابن ماجه برواية عدد آخرين من الصحابة أحاديث بنفس مدلول الحديث القائل بأنه يغفر للشهيد ذنوبه كلها إلا الدين ..

** منزلة المسلمين المؤمنين فى البرزخ :

- جاء في (سورة النساء70/69) أن من يطع الله ورسوله يلحقه الله برفقة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين فتقول : **وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا * ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ***

- وأخرج أحمد عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَالَتْ أُمُّ مُبَشِّرٍ لِكَعْبِ بْنِ مَالِكٍ وَهُوَ شَاكٍ : اقْرَأْ عَلَى ابْنِي السَّلَامَ (تَعْنِي مُبَشِّرًا) .. فَقَالَ : يَغْفِرُ اللَّهُ لَكِ يَا أُمَّ مُبَشِّرٍ أَوَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّمَا **نَسَمَةُ الْمُسْلِمِ** طَيْرٌ تَعْلُقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يُرْجِعَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .. قَالَتْ : صَدَقْتَ فَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ...

- (وأخرج مالك والنسائي وابن ماجه وأحمد) عن كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ أنه كَانَ يُحَدِّثُ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : إِنَّمَا **نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ** طَيْرٌ يَعْلَقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَهُ اللَّهُ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُ

[ومعنى يعلق في شجر الجنة : أي يرعى فيه]

- **تعقيب**: ما جاء بالأحاديث بأن : نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَيْرٌ يَعْلَقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَهُ اللَّهُ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُ .. وبأن : أَرْوَاح الشهداء فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَسْرَحُ مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ .. فلابد أنه مع ذلك تبقى لكل روح سماتها لتتعارف الأرواح بها مع بعضهم ويتواصلون (على الأخص سمات الوجه الذي يتعارف به البشر .. وربما يكون الطير بوجه البشر)

- وبالطبع فإن منازل المسلمين المؤمنين ونعيمهم في جنة البرزخ غير متساوية بل هي متفاوتة الدرجات بتفاوت إيمانهم وعملهم وكسبهم ..

- وقد ينال المسلم المؤمن بعض من العذاب كفارة لبعض الذنوب قبل أن يدخل جنة البرزخ .. وقد يحبس البعض عن دخولها لدين عليه أكبر من أن تؤديه تركته أو يؤديه عنه ولده أو والديه أو صاحبه أو أخيه ...الخ ، أو أن

يكون مستطيعا للحج ولم يحج ولم يحج عنه أحد، أو أنه استحقت عليه زكاة لم يؤدها ولم يؤد عنه أولاده أو وارثيه عنه ذلك ... الخ

** عقاب وعذاب أرواح غير المؤمنين وراء البرزخ :

* في ما وراء البرزخ تكون أرواح الكفار والعصاة في عذاب وعقاب ، كل حسب درجة ذنبه وكفره ، وبما يستحقه كل منهم من العقاب حسب عمله ..

* وقد بينت (سورة غافر) سوء العذاب الذي وقع بآل فرعون في البرزخ فور موتهم، وأنهم يوم القيامة سيردون إلى أشد العذاب فقالت:

وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (45) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (46) (غافر)

ونلاحظ من النص أنهم يعرضون على نار البرزخ ، وليست تلك النار هي التي تعرض عليهم .. بمعنى أنهم يدخلونها في البرزخ غدوا وعشيا .. وليس الأمر مجرد عرضها عليهم ليروا مقعدهم من النار في الآخرة ..

** هل نعيم وعذاب البرزخ على الروح أم على البدن ؟

* **يقول موقع (**dorar.net › aqadia) **عن ذلك ما يلي :**

- ينكر **كثيرون من أهل الكلام** النعيم والعذاب في البرزخ مطلقاً وذلك لأنهم ينكرون وجود روح مستقلة عن الجسد ، فالروح عندهم هي الحياة ،

ولا تبقى الروح في نظرهم بعد الموت ، فلا نعيم ولا عذاب حتى يبعث الله العباد .. **وقال بذلك بعض المعتزلة والأشاعرة** ..

- **وبعض علماء الكلام** يقولون بأن الذي ينعم ويعذب في القبر البدن وحده .. وقال بذلك طائفة من أهل الحديث

- بينما يقول **بعض الفلاسفة** أن النعيم والعذاب على الروح وحدها ، وأن البدن لا ينعم ولا يعذب .. وقد قال بهذا القول من أهل السنة ابن ميسرة وابن حزم .

- أما **مذهب أهل السنة والجماعة** فهو أن الروح تعذب وتنعم منفصلة عن الجسد ومتصلة به ، وعن ذلك يقول ابن تيمية: " العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعاً باتفاق أهل السنة والجماعة ، تنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن ، وتعذب متصلة بالبدن والبدن متصل بها ، فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحال مجتمعين .. " .

(وابن تيمية يقصد بالنفس هنا : الروح)

* وجاء في الفتوى رقم 4314 في موقع (ar.islamway.net › fatwa) عن ذلك ما يلي :

الأدلة على إثبات عذاب القبر ، وأن النعيم والعذاب يلحقان الروح والبدن معاً كثيرة متواترة ، وتدل النصوص على أن الروح تنعم مع البدن الذي في القبر أو تعذب ، وأنها تنعم في الجنة وحدها .. ومن ذلك :

- ما في الصحيحين ومسند أحمد وأبي داود والنسائي من حديث أنس أن النبي ﷺ قال: " .. وأما الكافر أو المنافق فيقال له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ - فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس، فيقال له: لا دريت ولا تليت، ثم يضرب بمطارق من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين، ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه" .. فقوله ﷺ: " يضرب بمطارق من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة

يسمعها من يليه غير الثقلين، ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه" دليل واضح على شمول الأمر للروح والجسد ..

- حديث البراء بن عازب الطويل الذي رواه أحمد وأبو داود وابن خزيمة والحاكم وغيرهم بسند صحيح ، جاء فيه عند الحديث عن العبد الكافر أن الملائكة تصعد بروحه فلا تفتح له أبواب السماء ، فيقول الله: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى .. فتطرح روحه طرحاً، **فتعاد روحه في جسده ، ويأتيه ملكان فيجلسانه ..**

كما جاء فيه: **"ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه"**

وهذا صريح في أن الروح مع الجسد يلحقها النعيم أو العذاب ..

(وقد سردنا فيما سبق نص الحديث كاملا ويمكن الرجوع إليه)

- وأما الدليل على أن النعيم قد يلحق الروح منفردة عن البدن فهو في ما سبق من كون الروح تصعد إلى السماء وتفتح لها أبواب السماء ..

وأيضاً: روى أحمد والنسائي وابن ماجه من حديث كعب بن مالك أن النبي ﷺ قال:" إنما نسمة المؤمن طائر معلق في شجر الجنة، حتى يبعثه الله إلى جسده يوم يبعثه ".

الفصل الثاني عشر

بعض من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية

عن نعيم وعذاب القبر والبرزخ

* تنص (سورة فصلت32/30) علي طمأنة وتبشير الملائكة للذين آمنوا بالله ثم استقاموا بالجنة الموعودة - (ويرى البعض أنها تكون حال الموت، بينما يرى آخرون أنها لبعض الأولياء في حياتهم) .. فتقول السورة :

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ *

* وتحكى (سورة الواقعة96/83) عن خروج الروح من الجسد وما يتبعه من نعيم وعذاب ، فتقول السورة :

فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ * وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ * فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ * تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ * وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ * فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ * وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ * فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ *

(ونذكّر هنا بأن الفاء تأتي للترتيب مع التعقيب ، بما يعنى حدوث ما بعدها عقب ما قبلها مباشرة)

* **وأخرج مسلم** عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ يُقَالُ هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ..

* **وأخرج البخاري أيضا هذا الحديث بنفس مجمل معناه** عَنْ ابْنِ عُمَرَ أيضا بأن رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قال: إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ غُدْوَةً وَعَشِيًّا إِمَّا النَّارُ وَإِمَّا الْجَنَّةُ فَيُقَالُ هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى تُبْعَثَ إِلَيْهِ ..

* **وأخرج البخاري** أن عَائِشَةَ قَالَتْ: دَخَلَتْ عَلَيَّ عَجُوزَانِ مِنْ عُجُزِ يَهُودِ الْمَدِينَةِ فَقَالَتَا لِي إِنَّ أَهْلَ الْقُبُورِ يُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ فَكَذَّبْتُهُمَا وَلَمْ أُنْعِمْ أَنْ أُصَدِّقَهُمَا فَخَرَجَتَا وَدَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ فَقُلْتُ لَهُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ عَجُوزَيْنِ وَذَكَرْتُ لَهُ فَقَالَ صَدَقَتَا إِنَّهُمْ يُعَذَّبُونَ عَذَابًا تَسْمَعُهُ الْبَهَائِمُ كُلُّهَا فَمَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ فِي صَلَاةٍ إِلَّا تَعَوَّذَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْر ..

* **وأخرج البخاري ومسلم وابو داود والنسائي واحمد** عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النَّبِيُّ ﷺ مَرَّ عَلَى قَبْرَيْنِ فَقَالَ إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ مِنْ كَبِيرٍ ثُمَّ قَالَ بَلَى أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَسْعَى بِالنَّمِيمَةِ وَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ قَالَ ثُمَّ أَخَذَ عُودًا رَطْبًا فَكَسَرَهُ بِاثْنَتَيْنِ ثُمَّ غَرَزَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى قَبْرٍ ثُمَّ قَالَ لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا .

* **وأخرج مسلم** عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ .. إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ .

وأخرج أبو داود عَنْ هَانِئٍ مَوْلَى عُثْمَانَ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا فَرَغَ مِنْ دَفْنِ الْمَيِّتِ وَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ وَسَلُوا لَهُ بِالتَّثْبِيتِ فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ .

الفصل الرابع عشر

الموت الثاني والبعث والحياة الآخرة

** بينما يكون الكثيرون من الأحياء لاهين عن قيام الساعة والبعث ، يكون من وراء البرزخ مترقبين لها بعدما عاينوا نعيم الله وعذابه الأوليِّ ، وعلمهم المبدئيِّ بمصيرهم ..

والساعة لا يعلمها أي من المخلوقات جنا أو إنسا أو ملائكة .. وعلمها عند الله وحده لا يجليها لوقتها إلا هو .. وفي ذلك تقول (سورة الأعراف187) :

يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ

** فإذا أتى أمر الله نفخ في الصور فيصعق كل من في الأرض من إنس وجن ومن في السماوات من ملائكة إلا من شاء الله ..

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ (الزمر68)

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ * فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ * (يس50/48)

** ثم بعد فترة من الزمن لا يعلمها إلا الله ينفخ في الصور نفخة أخرى فتبعث الأجساد من القبور.. حيث تعود للأجساد كل ما نقصته الأرض منها وترد أرواحهم إلي أجسادهم .. ويخرجون من الأجداث ينسلون .. وإن هي إلا صيحة عليهم فإذا هم محضرون إلى ربهم للحساب .. ولنقرأ في ذلك :

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ * إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ * فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * (يس54/51)

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ (الزمر68)

** وتبدل الأرض غير الأرض والسماوات .. وتكون بها جنة عرضها السماوات والأرض بأبوابها الثمانية أعدت للمتقين، ونار بأبوابها السبعة أعدت للكافرين والفاسدين المفسدين والخبيثين والمنافقين، ولإبليس وجنوده من الجن والإنس ومن أغووهم أجمعين ... الخ

وعن ذلك يقول الله تعالى :

- يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ * وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ * سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ * لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ * هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ * (إبراهيم 52/48)

- لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ * لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ*

(آل عمران196/198)

- قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ * قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ * قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ * قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ * قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ * إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ * إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ* ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ * وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ * لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ * نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ * (الحجر 32/50)

<u>تعقيب</u> : كل ما ورد عن الجنة في القرآن والأحاديث النبوية لا يبلغ حقيقة النعيم، فيها فمهما تصورت أي نفس ذلك النعيم فلن يبلغ تصورها حقيقته .. وفي ذلك يقول الحق سبحانه :

فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (السجدة17)

وأخرج البخاري ومسلم واصحاب السنن عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

أن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ **" فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ"**

- فما ورد في الكتاب والسنة عن أوصاف الجنة إنما ورد بما نعلمه ونحسه من المعلوم والمحسوس لدينا .. وسيفاجأ المؤمنون بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .. فكل ما يخطر على بالنا فهو لن يبلغ حقيقة ما أعده الله لعباده المؤمنين ، وبخلاف أي خاطر بشري ..

وما يقال في ذلك عن الجنة يقال عن النار وعن عذاب الجبار ..

- ونسأل الله أن يخرجنا من الدنيا على السلامة من وبالها ويجعلنا عند الموت ناطقين بالشهادة عالمين بها ويجعل خير أيامنا وأسعدها يوم أن نلقاه

****